

07-02-2012, 10:09 PM #1

الصقري
عضو جديد

تاريخ التسجيل: Apr 2009
المشاركات: 3

رد الشيخ سلطان السبهان على الخليفي الطاعن في الإمام أبي حنيفة

قد أُدخل البرذون مضمار العتاق
في الرد على الخليفي المتسرع (2)
بقلم: سلطان بن محمد بن سبهان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد اطلعت على كلام للمدعو عبد الله الخليفي يقول فيه :
" فهذا الأوزاعي أنكر على ابن المبارك إطرائه لأبي حنيفة ، لأنه صح عنده أنه يرى السيف ، فكيف لو جعله ابن المبارك من أهل السنة ؟ مع ما ثبت عند الأوزاعي عنه ، فكيف بمن هو أشر من أبي حنيفة ، وهو غارق في البدعة " ( ) .

وقد حصل بيني وبين الرجل بعض السجال في أيام خلت ، عرفت فيها أنه مريض بحب الشهرة والنشر ومصادمة الكبار من أهل العلم ، والتشدد القبيح الذي نبت في ثنايا منهج الحدادية وترعرع في رؤوس الأوباش من الشباب ممن قلّ حظّهم فراحوا يبدّعون ويفسّقون ويضلّلون بالجملة وبلا ضوابط ولا وقوف على معالم طريق أهل العلم وأساطين الطريقة السلفية والجادة المرضية ككبار العلماء في عصرنا ممن رضي بدينهم وعلمهم وخُلقهم القريب والبعيد .
لذا تراه على الدوام يقول (قلت / وأقول / ونقول وبالله التوفيق / والرد من وجوه / وعندنا / قلت إسناده صحيح) وغيرها من الكلمات التي لا يقولها إلا كبار العلماء والمحققون ، حتى إنه في مقال له يرد فيه على الشيخ إبراهيم الرحيلي قال كلمة (قلت / وأقول) أكثر من خمس مرات ، والمقال لا يعدو 10 صفحات إلا قليلاً .
بل إنه يسمي ردوده هو بزمرته بأسماء فخمة وكأنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، فتجد له ولأصحابه مثلا عناوين مثل (النقض لاعتراض الأشاعرة / إبطال ما ادعاه فلان / طليعة النقض على ../ الخ)
إضافة لتبجحه في نسخ أسانيد الأحاديث ورجال المرويات ولصقها ، وحشر اسمه حتى يظن الظانّ أنه من طبقة المحققين الكبار ، ومطاولته علم الجرح والتعديل والكلام في الرجال وهو لمّا يبلغ بعدُ ، وما عرف الكوع من الكرسوع ولا الشحمة من الفحمة ، وله أغلاط فادحة تدل على صدق ما قاله المتقدمون " طعامُ الكبار سُمّ الصغار " .
وأنا الآن أكتب هذه الوريقات إشفاقاً عليه بعدما علمت أنه صغير غرير ، ورحمةً له ، ومن جانب آخر تنكيلاً لمن وراءه ومعه من زمرة ضعاف يغرّ بعضهم بعضاً كالمدعو حمود الكثيري والمدعو عبد الله التميمي اللّذَين يعاونانه في نشر مثل هذه الترّهات والحماقات مما لا طائل وراءه ولا فائدة منه إلا التنشئة على مصادمة الكبار وتسفيه أهل العلم الذين حمى الله بهم

الدين ، ومن يردّ عليهم أو يناقشهم يحذفون ردّه ويُقفون عضويته جُبناً ولواذاً .

ولأننا عرفنا ورأينا ما أدّت إليه هذه الأفكار من جناية على المتعلمين فيما سبق ، حتى طعنوا في ابن تيمية وفي العلماء السلفيين المعاصرين ونبذوهم بسبب تزكيتهم لأبي حنيفة ، بل لعنوا أبا حنيفة وسموه بأشنع الألقاب ، وبعضهم كفّره ، ومنهم من سبّ علماءَنا ، ومنهم من اتهمهم بالجناية على الإسلام ، حتى قال بعضهم أن الذي يتحمل مسؤولية سطوع نجم أبي حنيفة واعتباره هو ابن تيمية وابن عبد البر !! .

وللأسف رأينا بعض من ينصح بقراءة تعليقه في موضوع الانتخابات ، ويرسل رسائل الجوال إنْ اقرؤوا ما كتبه الخليفي ، وما علم هذا المسكين أن الدال على الشر كفاعله !

لقد أدركنا شيوخنا حماة السنة وفرسان العقيدة وسمعنا منهم وعرفنا طريقتهم ، فما رأينا واحداً منهم يلمز أبا حنيفة أو يتبرأ منه أو يطعن فيه كطعن الخليفي الغرّ المسكين الذي ظنّ نفسه شيئاً فبرز لأشياء يقْصُر عنها فهمُه ، وينتهي دونها رمَق علمه .

والخليفي هذا الذي أخرج أبا حنيفة من السنة وطعن فيه بقبيح الكلام ، حينما سألنا عنه عرفنا أنه ممن قرأ كتابين ، وحفظ جملتين ، وتخرّج على كتابه ، أو هكذا ظن أن تخرّج ، فجاء خليطاً من أفكار وشبهاتٍ ومنقولات وقُلْ أيضاً أمراضٍ مستعصيات عظّمَ أثرَها السيءَ أهلُ العلم ممن سبروا نتائج هذا المعراج ، بل هو مِدِراكٌ وربي ومزلّة ، ودحْضُ من الطُرقِ مضَلّة ، لا يُؤمنُ فيه سالك ، ولا يَدرُجُ فيه غيرُ هالك .

وقد ناقش هذا المسكينَ أحدُ الكتاب في ذلك الموقع ، وعلمت فيما بعد أنهم حذفوا عضويته ، واسمه عبد الكريم الرشيد ، وكان مما دار بينهم كما حدثني أن الخليفي الأحمق حين قيل له هل أن تتبدّع أبا حنيفة وترا أنه شرٌّ من عمرو بن عبيد ، قال الأحمق : " الذي يرى هذا أحمد ابن حنبل وشعبة وحماد وغيرهم فإذا كانوا جهلة وحدادية عندك والمعاصرون أعلم منهم فهذا شأنك ، والمعاصرون اختلفوا وقد ذكرت لك عدداً منهم وعامتهم يرون أن أهل الإرجاء والذين يرون السيف مبتدعة ، وإجماع السلف ونصوصهم لا ترد بمخالفة رجل معاصر أرأيت لو ناظرت أشعرياً وذكرت له نصوص السلف في الصفات فقال لك : علماؤنا الأشاعرة عرفوها ، وأنا أصرح بعقيدتي وليس (رأيي) ولا أخاف منك ولا ممن هو أجهل منك ولكن المقال كتب في باب آخر " .

وحين قال له الرشيد هل ترى أن ابن تيمية وعلماء الدعوة النجدية خالفوا إجماع السلف في أبي حنيفة ، قال الأحمق : " وإذا كان السلف ظلموا أبا حنيفة فهذه مصيبة أما أئمة الدعوة النجدية فقد بينت لك موقفهم
ونقلت لك كلام محمد بن عبد الوهاب في النهي عن النظر في كتب أهل الرأي والرد على إرجاء الفقهاء
وأما العلماء المعاصرون فقد ذكرت لك كلام طائفة منهم وأزيدك الشيخ الألباني كان يرى أن الخلاف مع مرجئة الفقهاء حقيقي ، وابن باز كان يرفض أن يقال (مرجئة أهل السنة) ، وابن تيمية نقلت لك نصوصه في القول بأن السلف بدعوا مرجئة الفقهاء وهجروا أهل الرأي " .

وحين ناقشه الرشيد في المعاصرين رجع وقال الخليفي المريض : " قلت لك أن الشيخ مقبلاً له كتاب في تبديع أبي حنيفة وهو عالم سلفي معاصر ، وكذا الشيخ محمد بن هادي وكذا الشيخ ربيع والشيخ عبيد
والواجب الاقتداء بالسلف وليس المعاصرين !!! " ( ).

وحقيقة لا أدري أين سأجد تبديع الشيخ ربيع والشيخ عبيد والشيخ محمد بن هادي لأبي حنيفة ؟!!
ألا إن ذلك هو الضياع والضلال والكذب ، ولعل أهل بلدته يتنبهون لهذه الظاهرة السرطانية قبل أن تشتعل فيهم فلا يجدون لها علاجاً ، وربما التهمت بعض من كانوا متآلفين وتحيلهم شِيَعاً وأحزاباً كما فعلت الحدادية المقيتة .
وهنا سقت كلام الشيخ ربيع ، وبعده نقل عن الشيخ محمد بن هادي باعتبار الإمام أبي حنيفة أحد الأئمة الكرام الذين يجب احترامهم ، حيث نقل كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب موافقاً له .
وأما الشيخ عبيد فلا أدري أين تبديعه لأبي حنيفة ، فإن وجده أحد من القراء فليكرمنا به !!
الذي قرآناه من كلام الشيخ عبيد أنه قال عن أبي حنيفة : " ولكن القول الوسط أنه في أهل السنة جملة ويؤخذ عليه هذا المأخذ – يعني إرجاء الفقهاء – " ( ).
فليندحر هذا الكاذب المريض .

ولقد اشتد نكير الشيخ ربيع على الحداد المجرم حين أنكر على شيخ الإسلام إطلاق مرجئة الفقهاء على أبي حنيفة ومن معه حيث يقول الشيخ ربيع – مختصراً على المراد - : " أتدري ماذا ارتكب الحداد في هذا الكلام القليل من الطعنات في شيخ الإسلام ابن تيمية وكل ذي ريبة يسلك هذه الطرق الملتوية. لقد طعنه ثلاث طعنات نجلاء.

1-طعن فيه بأن قوله هذا تهوين من شأن الإرجاء.
فالإرجاء أنواع شرها هذا الذي ذكره بل غلاة المرجئة يقولون لا ينفع مع الكفر طاعة ويحمل الحداد حملات شعواء على مرجئة الفقهاء موهماً أنهم قد ارتكبوا شر أنواع الإرجاء.

2- الطعنة الثانية : هي طعنه في ابن تيمية بمخالفة إجماع العلماء فما يريد بقوله : ((ألا ترى أبا حاتم وأبا زرعة قد نقلا إجماع العلماء على أن المرجئة مبتدعة ضلال إلا ليطعن في ابن تيمية بأنه خالف إجماع العلماء وهو يردد هذا بين جلسائه ويزيد بأنه يخالف الأصول , وقد سمعنا هذا في بيتي أنا وغيري من أحد كبار أتباعه أي نسبته ابن تيمية إلى مخالفة الإجماع ومخالفته الأصول.كيف يكون ابن تيمية قد خالف الإجماع ؟

3- والطعنة الثالثة : الفاجرة الخبيثة وهي قوله:(ومن ذلك من يقول مرجئة أهل السنة فاحذروا الافتراء).
فمن يقصد الحداد بِهذا الكلام الظالم الجريء , إنه يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية بالقصد الأول ثم علماء أهل السنة الذين يقولون بهذا القول من السابقين والمعاصرين)).
قد يساورك شك في أنه يقصد الإمام ابن تيمية لكن إذا تذكرت أن الحداد نقل كلام ابن تيمية هذا من كتاب الإيمان وإذا علمت أن ابن تيمية عدَّ مرجئة الفقهاء من أهل السنة في الموضوع نفسه الذي قال : إن الخلاف بين مرجئة الفقهاء وبين أهل السنة لفظي زال عنك الشك فاستمع إلى ابن تيمية ماذا يقول في كتاب ((الإيمان)) (ص 281-282) الموضوع الذي أخفاه الحداد مكراً !.
((ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي , و إلا فالقائلون بأن الإيمان قول , من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان – وهو أول من قال ذلك , ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد , وإن قالوا : إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون : الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب , كما تقوله الجماعة , ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة)).
فهل زال الآن الشك عنك في قصد الحداد ثم انظر إلى ابن تيمية كيف وضع وجهة نظره في كون الخلاف لفظياً , ومن أي جهة تناول هذه القضية وهي جهة اتفاق مرجئة الفقهاء مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد واتفاقهم مع أهل السنة بأن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب.
فيقال له فهل الإرجاء مثل التجهم وهل إرجاء الفقهاء الذي عناه ابن تيمية مثل الإرجاء الغالي أو مثل التجهم ثم هل تنكر تسامح أحمد وغيره من السلف رحمهم الله مع مرجئة الفقهاء وغير الدعاة " ( ).

وأني والله أخشى على الخليفي هذا الغر الأشِر ومن معه أن يصل بهم الحال لقول الحداد حين قال عن ابن تيمية وهو يفصّل القول في مرجئة الفقهاء ، قال الحداد عن شيخ الإسلام " فض الله فاه !! " ( ).
أو أن يشغّبوا على بقية الأئمة كمالك والشافعي، مستدلين بردّ مالك لحديث (البيعان بالخيار) وبنسبة الشافعي للتشيّع الذي نّقل عن بعض العلماء ، فهؤلاء أوغاد لا يؤمَنون، وجناياتهم على السنة أكثر مما يُرجى من نفعهم ، والله المستعان .

وقد كتبت في هذا الأشِر شِعراً طويلاً ، ولعلي أنشره لاحقاً ، منه :

أقصِر فلستَ سوى خُليفيْ خـلَفٌ يَطيرُ بكلِّ زَيفِ
خشَباً حملتَ وجئتَ تعدو لنِـزالِ من جاءوا بسيفِ
اقبَـع هناكَ ، فكلُّ غمْرٍ سيمرُّ مَثلَ سحابِ صيفِ

وسيكون لي مع تلك الكلمة القبيحة وقفة مختصرة ، فالمقام أقلّ من أن تسوّد فيه الأوراق ، فإنما هي فتنة أحياها الأصاغر ونفخ فيها من لا حظّ لهم ، ومن أنا حتى أجهد نفسي في تزكية أبي حنيفة والذب عنه ، وهو من هو في الإسلام , فقد زكى أبا حنيفة كثير من الأئمة ، فقد نقل المزي في تهذيب الكمال تزكيته والثناء عليه عن كثير من الأئمة منهم ابن معين وابن المبارك وابن جريج ويحيى بن سعيد القطان والشافعي، فذكروا من سعة علمه وورعه واشتغاله بالعبادة، وقد أطال المزي في ذلك فذكر في حياة أبي حنيفة والثناء عليه قريباً من ثلاثين صفحة، وقد ألف الذهبي كتاباً في فضائل أبي حنيفة وصاحبيه سماه مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وذكر في هذا الكتاب ثناء التابعين وأتباعهم على أبي حنيفة ، منهم الأعمش والمغيرة وشعبة وسعيد بن أبي عروبة وابن عيينة، وقد ألف فيه الحافظ محمد بن يوسف الصالحي الشافعي رحمه الله كتاباً سماه عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان.
وههنا شذرات قلَم ، وجرعات أدب ، تفيد القاصد ، وترجم الحاسد ، فالموفق العاقل تكفيه ، وإن عاد عدت بقبسات من نور الأئمة التي استضاءت بها أمم ممن هداهم الله ، فكلامهم – وهم كثير – يشفة غُلة الصادي ، ويسرُّ عين الرائد ، والله من وراء القصد .

الأئمة الأربعة ، (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)
قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي : " إن احترام العلماء واجب أوجبه الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه ، خرجه الإمام أحمد وابنه ، ....إلى أن قال ناقلاً عن عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله قوله ...فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين ، لكي تتبع آثارهم ...قال الشيخ محمد بن هادي : قلت والذي ذكره الإمام محمد رحمه الله من احترام العلماء وتوقيرهم ولو أخطأوا هذا هو الواجب على كل مؤمن يخاف الله ويتقيه ، ولو أنا كلما اخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له قمنا عليه وبدّعناه وهجرناه لما سلم معنا أحد " أ.هـ المقصود ( ) .
وأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد يدينون بما نطق به الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان " وليس بين هؤلاء الأئمة ولله الحمد نزاع في أصول الدين بل هم متفقون على الإيمان بصفات الرب وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان، بل كانوا ينكرون على أهل الكلام من جهمية وغيرهم ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية والمذاهب الكلامية "( ) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "... ولكن من رحمة الله بعباده أن الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق كالأئمة الأربعة وغيرهم كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب، وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان "( ).
وقال رحمه الله " إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ويقولون: إن الله يرى في الآخرة، هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم وهذا مذهب الأئمة المتبوعين مثل مالك بن أنس والثوري والليث بن سعد، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد " ( ).
وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن اعتقاد الشافعي فأجاب بقوله: "اعتقاد الشافعي رضي الله عنه واعتقاد سلف الأمة كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه هو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين ، وكذلك أبو حنيفة رحمه الله فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسُّنَّة "( ).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض رسائله الخاصة : (فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه بعده و التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين و ما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث و الفقهاء كأبي حنيفة و مالك و الشافعي و أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين لكي تتبع آثارهم " ( ).

ومضات لطيفة من أقوال الإمام أبي حنيفة

" لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئًا تبارك الله وتعالى رب العالمين " ( ).

" ولا نذكر أحدًا من صحابة رسول الله إلا بخير " ( ).

وسأله رجل وقال:ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأعراض والأجسام، فقال: " مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة " ( ).

قيل لأبي حنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال : " اتركوا قولي لكتاب الله ، فقيل إذا كان خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة " ( ).

ثناء العلماء عليه وهم أتقى وأقرب رُحما
من ذلك ، أمثلة على هذا السبيل ، لا لحصر كل ما قيل :

قال ابن المبارك " ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة " ( )

وقال يحيى بن سعيد القطان " لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة " ( )

وقال سفيان الثوري " كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه " ( )

وقال ابن كثير رحمه الله: " الإمام أبو حنيفة فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام، وأحد أركان العلماء، وأحد الأئمة الأربعة؛ أصحاب المذاهب المتبوعة، وهو أقدمهم وفاة " ( ).

ما أخذه العلماء على أبي حنيفة واعتذارهم له
لقد أخذ أهل العلم على الإمام أبي حنيفة قوله في عدم زيادة الإيمان ونقصانه وقوله في مسمى الإيمان وأنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وأن العمل خارج عن حقيقة الإيمان.
وقوله هذا مخالف لما قرره سائر أئمة الإسلام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والبخاري وغيرهم والحق معهم.
وقول أبي حنيفة مجانب للصواب وهو مأجور في الحالين، وقد ذكر ابن عبد البر وابن أبي العزّ ما يشعر أن أبا حنيفة رجع عن قوله والله أعلم( ).

والعلماء اعتذروا لأبي حنيفة فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : "ومن ظن بأبى حنيفة أو غيره من أئمة المسلمين أنهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس أو غيره فقد أخطأ عليهم، وتكلم إما بظن وإما بهوى " ( ).
وقال : " كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء وأنكروها عليه؛ فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه وهي كذب عليه قطعا ( ).

وقال الشيخ الألباني بعد نقله لكلام الشعراني الذي قال فيه ..(واعتقادنا واعتقاد كل منصف في الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لو عاش حتى دونت الشريعة وبعد رحيل الحفاظ في جمعها من البلاد والثغور وظفر بها.لأخذ بها وترك كل قياس كان قاسه وكان القياس قل في مذهبه كما قل في مذهب غيره بالنسبة إليه) قال الألباني: " فاذا كان هذا عذر أبي حنيفة فيما وقع منه مع المخالفة للأحاديث الصحيحة –دون قصد-وهو عذر مقبول قطعا لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها فلا يجوز الطعن فيه كما قد يفعل بعض الجهلة بل يجب التأدب معه لأنه امام من أئمة المسلمين الذين حفظ هذا الدين ووصل إلينا ما وصل من فروعه وأنه مأجور على كل حال أصاب أم أخطأ ، كما أنه لا يجوز لمعظميه أن يظلوا متمسكين بأقواله المخالفة للأحاديث لأنها ليست من مذهبه...فهؤلاء في واد وأولئك في واد والحق هؤلاء وهؤلاء"ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم " ( ).
وأما ما هو موجود في كتاب السنة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله فأترك الجواب عنه للفذ العلامة صالح آل الشيخ وهو الطَّبُّ النحرير ، وكلامه " فِعْلُ من طَبَّ بمن حَبّ " كما قيل ، قال حفظه الله حين سئل: ما رأيكم في ما جاء في كتاب عبد الله بن الإمام أحمد من اتهام لأبي حنيفة بالقول بخلق القرآن إلى آخره؟
فأجاب: هذا سؤال جيد، هذا موجود في كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، وعبد الله بن الإمام أحمد في وقته كانت الفتنة في خلق القرآن كبيرة، وكانوا يستدلون فيها بأشياء تنسب لأبي حنيفة وهو منها براء كخلق القرآن، وكانت تنسب إليه أشياء ينقلها المعتزلة من تأويل الصفات إلى آخره مما هو منها براء ، وبعضها انتشر في الناس ونقل لبعض العلماء فحكموا بظاهر القول، وهذا قبل أن يكون لأبي حنيفة مدرسة ومذهب؛ لأنه كان العهد قريباً عهد أبي حنيفة ، وكانت الأقوال تنقل، قول وكيع ، قول سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، قول فلان وفلان من أهل العلم في الإمام أبي حنيفة، وكانت الحاجة في ذلك الوقت-باجتهاد عبد الله بن الإمام أحمد- كانت الحاجة قائمة في أن ينقل أقوال العلماء فيما نقل، ولكن بعد ذلك الزمان كما ذكر الطحاوي أجمع أهل العلم على أن لا ينقلوا ذلك، وعلى أن لا يذكروا الإمام أبا حنيفة إلا بالخير والجميل، هذا فيما بعد زمن الخطيب البغدادي ، يعني في عهد الإمام أحمد ربما تكلموا، وفي عهد الخطيب البغدادي نقل مقولات في تاريخه معروفة، وحصل ردود عليه بعد، حتى وصلنا إلى استقراء منهج السلف في القرن السادس والسابع ، وكتب في ذلك ابن تيمية الرسالة المشهورة :رفع الملام عن الأئمة الأعلام، وفي كتبه جميعاً يذكر الإمام أبا حنيفة بالخير وبالجميل ويترحم عليه، وينسبه إلى شيء واحد وهو القول بالإرجاء إرجاء الفقهاء ، دون سلسلة الأقوال التي نسبت إليه فإنه يوجد كتاب أبي حنيفة الفقه الأكبر، وتوجد رسائل له تدل على أنه في الجملة يتابع السلف الصالح إلا في هذه المسألة مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان .
ولما أراد العلماء طباعة كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد وكان المشرف على ذلك والمراجع له الشيخ العلامة عبد الله بن حسن آل الشيخ رحمه الله تعالى رئيس القضاة إذ ذاك في مكة، فنزع هذا الفصل بكامله من الطباعة، فلم يُطبع لأنه من جهة الحكمة الشرعية كان له وقته وانتهى، ثم هو اجتهاد ورعاية مصالح الناس أن ينزع وأن لا يبقى وليس هذا فيه خيانة للأمانة؛ بل الأمانة أن لا يجعل الناس يصدون عن ما ذكر عبد الله بن الإمام في كتابه من السنة والعقيدة الصحيحة لأجل نقول نقلت في ذلك، وطبع الكتاب بدون هذا الفصل وانتشر في الناس وفي العلماء على أن هذا كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد.
حتى طبعت مؤخراً في رسالة علمية أو في بحث علمي وأُدخل هذا الفصل، وهو موجود في المخطوطات معروف، أدخل هذا الفصل من جديد يعني أرجع إليه، وقالوا: إن الأمانة تقتضي إثباته.
وهذا لاشك أنه ليس بصحيح بل صنيع العلماء علماء الدعوة فيما سبق من السياسة الشرعية ومن معرفة مقاصد العلماء في تآليفهم واختلاف الزمان والمكان والحال وما استقرت عليه العقيدة وكلام أهل العلم في ذلك.
ولما طبع كنا في دعوة عند فضيلة الشيخ الجليل الشيخ صالح الفوزان في بيته كان داعيا لسماحة الشيخ عبد العزيز رحمه الله

وطرحت عليه، فقال رحمه الله في مجلس الشيخ صالح، قال لي: الذي صنعه المشايخ هو المتعين ومن السياسة الشرعية أن يحذف وإيراده ليس مناسبا. وهذا هو الذي عليه نهج العلماء . اهـ ( ).

ولما سأل الشيخ الفوزان عن ما في كتاب الإمام عبد الله بن أحمد أيضاً قال : " الفصل في الكلام على أبي حنيفة موجود ولكن الإمام أبي حنيفة إمام بلا شك ومن أئمة أهل السنة وله فضله وله مكانته وما ذُكر ما ينبغي أن نتخذه للتنقص من أبي حنيفة أو الحط من قدره " ( ).

خاتمة

يقول ابن القيم رحمه الله : " فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرك جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها : ( ).

ويقول الذهبي في ترجمة محمد بن نصر المروزي :" ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له قمنا عليه وبدّعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما والله هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة " ( ).

وإنه لمن المؤسف أن نرى بعض من يتشجعون للرد هنا وهناك ، يتقاعسون عن الأخذ بيد هؤلاء والرد عليهم أو البراءة من قولهم وإظهار ذلك ، بل علمنا أن عبد الله بن صلفيق ينصح بقراءة ردّه وتعليقه !!

وإن بعض من نحسبهم من الفضلاء ممن يثني على الخليفي وزمرته ويسكت عن بيان حالهم ممن يعرفهم وربما جالسهم وجالسوه كالدكتور الفاضل خالد ضحوي ، لايخرجون من هذه التبعة حتى يبينوا وينصحوا ، أو يردوا على هذه الثلة الخَرْقاءْ ، فالردّ على هؤلاء وكشف حالهم والتحذير منهم أولى من الأبعدين ، لاسيما وأن خطرهم عظيم وطريقتهم شنيعة .

إن تبديع أبي حنيفة من مقتضاه تسفيه وتضليل طائفة من الأمة ، بل تسفيه من اعتدّوا بقوله وخلافه كالترمذي وابن قدامة والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في خلق كثير من العلماء لا يحصون .

أنصح هذا الأخ بلزوم جادة العلماء والتتلمذ لهم ، وأخذ العلم عن أفواههم ، وترك الإنشغال بالردود التي لها أهلها من العلماء الكبار أهل الفقه في الدين ، فمن هو حتى يتصدى لأبي حنيفة وغيره من العلماء !

وليعلم القارئ الكريم أن أمثال هذا الرجل سيذهب لينبش عن مثالب الإمام مالك والشافعي وأحمد وابن تيمية ، ليتغذى على الجروح كالحشرات ، ومن المعلوم أن من نبش - بسوء نية - سيجد في الروايات والتواريخ ما يرضي أمراضه المستعصية .

أسأل الله تعالى أن يقيّظ له ممن حوله من يأخذ بيده ويدلّه على سبيل رشده ممن عرفوا شنيع ما يوصل إليه فعله القبيح ، وأن ينصحوا له ولا يخذلوه .

والله أعلم وأحكم ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والهدى وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اقتباس

إضافة رد